(٧)

هداية القلوب منَّةٌ إلهيَّة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي**». رواه أحمد وأهل السُّنن[(١)].

في هذا الحديث: أنَّ هداية القلوب منَّةٌ إلهيَّة وعطيَّةٌ ربانيَّة؛ يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم فضلًا منه ومنًّا، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات:٧-٨].

ولنتأمَّل هذا السِّياق العظيم من سورة الحجرات، في بيان شأن الهداية، وأنَّها بيد الله سبحانه؛ يَهْدِي مَن يشاء، ويُحَبِّب الإيمان إلى قلوب مَن يشاء، ويُزَيِّنه في قلوب مَن يشاء، ويُكَرِّه لقلوب عباده وأوليائه وأصفيائه الكفر

---

(١) رواه أحمد (١٩٩٧)، وأبو داود (١٥١٠)، والتِّرمذيُّ (٣٥٥١)، والنَّسائيُّ في الكبرى (١٠٣٦٨)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وصحَّحه الألبانيُّ.

والفسوق والعصيان، ومَن كان شأنه كذلك؛ فهو الرَّاشد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتحبيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين؛ هو إلقاء محبَّته في قلوبهم، وهذا لا يقدر عليه سواه، وأمَّا تحبيب العبد الشَّيء إلى غيره؛ فإنَّما هو بتزيينه، وذكر أوصافه، **وما يدعو إلى محبَّته. فأخبر سبحانه: أنَّه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين:**

* حبَّه، وحُسْنَه الدَّاعي إلى حُبِّه.

* وألقى في قلوبهم كراهة ضدِّه مِنَ الكفر والفسوق والعصيان.

وأنَّ ذلك محض فضله ومِنَّته عليهم، حيث لم يَكِلْهم إلى أنفسهم، بل تولَّى هو سبحانه هذا التَّحبيب والتَّزيين وتكريه ضدِّه؛ فجاد عليهم به فضلًا منه ونعمة، والله عليم بمواقع فضله، ومَن يصلح له ومَن لا يصلح، حكيم بجعله في مواضعه»[(١)].

إنَّ المعرفة: بأنَّ هذه الهداية للقلوب هبةٌ مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ، وعطيَّةٌ منه جَلَّوَعَلَا، ومنَّة؛ تُوَلِّد في العبد أنواعًا مِنَ الأعمال، الَّتِي تستوجبها هذه المعرفة:

وأوَّل ذلك: حمد الله جلَّ في علاه، وشكره على نعمائه، والاعتراف بأنَّ الفضل فضله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا

(١) شفاء العليل (١/ ١٩٣).

ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]، وكان نبيُّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوم الأحزاب يحمل التُّراب مع أصحابه رضي عنهم أجمعين، ويقول: «**وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا**»(١). فالفضل فضله، والْمَنُّ منُّه جلَّ في علاه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن فوائده: أنَّه يضيف الحمد إلى وليِّه ومستحِقِّه، فلا يشهد لنفسه حمدًا بل يشهده كُلَّه لله، كما يشهد النِّعمة كلَّها منه، والفضل كلَّه له، والخير كلَّه في يديه. وهذا من تمام التَّوحيد، فلا يستقرُّ قدمه في مقام التَّوحيد إلَّا بعلم ذلك وشهوده، فإذا علمه ورسخ فيه؛ صار له مشهدًا، وإذا صار لقلبه مشهدًا؛ أثمر له مِنَ المحبَّة والأنس بالله والشَّوق إلى لقائه والتَّنعُّم بذكره وطاعته، ما لا نسبة بينه وبين أعلى نعيم الدُّنيا ألبتة»(٢).

وثاني هذه الأمور: أن يُقبِل العبد على الله جَلَّ وَعَلَا داعيًا سائلًا راجيًا طامعًا؛ فإنَّ الأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ، والهداية منَّته وفضله جلَّ في علاه، ومِن دُعَاء نبيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما جاء في المسند وغيره، عن رفاعة الزُّرقيِّ، قال: لمَّا كان يوم أحد وانكفأ المشركون قَالَ : رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي ، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا ، فَقَالَ : **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ ، اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ ، وَلاَ هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ ، وَلاَ**

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٦٢٠)، ومسلم (١٨٠٣).

(٢) رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه (ص٤٢).

مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ ، إلى أن قال: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا ، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ ، وَالْفُسُوقَ ، وَالْعِصْيَانَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ»[(١)].

وهي دعوة عظيمة؛ جدير بالمسلم: أن يجعلها من جملة دعائه الَّذِي يدعو الله جَلَّوَعَلَا به.

وكان من أكثر دعاء نبيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[(٢)]. ولمَّا قال له عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو اللهَ بِهِ»، قال: «قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي. وَاذْكُرْ بِالْهُدَى: هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ: سَدَادَ السَّهْمِ». رواه مسلم[(٣)].

ثالث هذه الأمور: أن يستشعر العبد ضعفه وقلَّة حيلته، وأنَّه لا حول له ولا قُوَّة إلَّا بالله؛ جاء عَنِ التَّابعِيِّ الجليل مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «لو أُخرج قلبي فجُعل في يدي هذه اليسار، وجيء بالخير كلِّه

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٩٢)، والبخاريُّ في الأدب المفرد (٦٩٩)، وصحَّحه الألبانيُّ.

(٢) رواه التِّرمذيُّ (٢١٤٠)، وصحَّحه الألبانيُّ.

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٥).

وجُعل في يدي اليمين؛ لم أستطع أن أجعل شيئًا مِنَ الخير في قلبي، إلَّا أن يكون الله هو الَّذِي يضعه سبحانه»[(١)]. فالعبد لا حول له ولا قُوَّة إلَّا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا صلاح لقلبه ولا زكاء إلَّا إذا أصلحه الله.

ورابع هذه الأمور: أنَّ هذا الاستشعار لهذه المِنَّة والعطيَّة؛ يُبعد عَنِ العبد عُجبه وغروره بنفسه؛ لأنَّ الإنسان رُبَّمَا أصابه عجبٌ بعمله من: صيام، أو صلاة، أو صدقة، أو طلب للعلم، أو غير ذلك. فإذا استحضر هذه المِنَّة كان ذلك أعظمَ طاردٍ للعُجْب، ومُبعِدٍ له عَنِ النَّفس؛ لأنَّ العبد يستشعر أنَّ هذه الهداية بتفاصيلها وجميع جوانبها، إنَّما هي محض مِنَّة الله عليه وفضله جلَّ في علاه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمِنَّة لله وحده في أن جعل عبده قائمًا بطاعته، وكان هذا من أعظم نعمه عليه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النَّحل:٥٣]، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات:٧].

وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد، وكُلَّمَا كان العبد أعظم توحيدًا؛ كان حظُّه من هذا المشهد أتمَّ.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٠١).

وفيه مِنَ الفوائد: أنَّه يحول بين القلب وبين العجب بالعمل ورؤيته؛ فإنَّه إذا شهد أنَّ الله سبحانه هو المانُّ به المُوَفِّق له الهادي إليه؛ شغله شهود ذلك عن رؤيته والإعجاب به وأن يصول به على النَّاس، فيُرفع من قلبه فلا يُعْجَب به، ومن لسانه فلا يَمُنُّ به ولا يتكَثَّر به، وهذا شأن العمل المرفوع»[(١)]

ولهذا؛ فإنَّ دواء العُجب كما في القرآن أن تقول: «ما شاء الله لا قوَّة إلَّا بالله» وأن العبد ينبغي له -إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده أو عمله- أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا** ﴾ [الكهف: ٣٩]، فتذكر نعمة الله عليك، وأنَّ الأمور كلَّها بمشيئته، وأنَّه لا قوَّة لك إلَّا بالله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأنَّه ـ سبحانه وتعالى ـ المعطي المانع الرَّافع الخافض القابض الباسِط، والأمر كلُّه بتدبيره ومنِّه وفضله جلَّ وعلا.

خامس هذه الأمور: أن يجدَّ العبدُ مجاهدًا نفسه على نيل هذه الهداية؛ ببذل أسبابها، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فالمقام يتطلَّب مِنَ العبد مجاهدةً للنَّفس، وأخذًا بأسباب الهداية، كما قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ**

---

(١) رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه (ص٤٠).

بِاللهِ»[(١)]. وليحذر من مسالك طرق الزَّيغ والضَّلال وأبواب الفتن والشَّرِّ، وَلْيَنأى بنفسه عنها، وَلْيَبتعد عن مسالكها؛ حفظًا لإيمانه، وطلبًا لهداية قلبه. فإنَّ الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصَّف:٥].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وملاك هذا الشَّأن أربعة أمور: نيَّةٌ صحيحة، وقوَّة عالية يقارنهما: رغبة، ورهبة. فهذه الأربعة هي قواعد هذا الشَّأن، ومهما دخل على العبد مِنَ النَّقص في إيمانه وأحواله وظاهره وباطنه؛ فهو من نقصان هذه الأربعة، أو نقصان بعضها. فَلْيَتأمَّل اللَّبيب هذه الأربعة الأشياء، وَلْيَجعلها سَيْره وسُلُوكه، ويبني عليها: عُلُومَه، وأَعْمَالَه، وأَقْوَالَه، وأَحْوَالَه. فما نتج من نتج إلَّا منها، ولا تخلَّف مَن تخلَّف إلَّا مَن فقدها»[(٢)].

قوله: «ملاك هذا الشأن» أي: جماع ذلك وما ينتظم به هذا الأمر، ومثل هذا التَّعبير ورد في السُّنَّة في حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لمَّا سأل النَّبيَّ ﷺ عن عمل يدخله الجنَّة ويباعده مِنَ النَّار، فذكر له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مباني الإسلام، ثُمَّ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ: بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟**» ثمَّ أخبره بذلك، ثمَّ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» فقلت له: بلى يا نَبِيَّ الله. فأخذ بلسانه، فقال: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فقلت: يا رسول الله، وإنَّا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه (ص٤٦).

لمؤاخذون بما نتكَلَّم به؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ**»، أو قال: «**عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

فملاك الأمر: جماعه وأساسه الَّذِي إن وفَّاه؛ تحقَّقت المصالح الأخرى، وإن ضيَّعه ضاعت المصالح كُلُّها.

فلا يجتمع للمرء أمره، ولا تنتظم مصالحه إلَّا إذا اجتمعت له هذه الأمور الأربعة، فهي مُحَرِّكات وأسس ودعائم، إن وجدت؛ أتى ما بعدها تبعًا لها، وإن لم توجد؛ ضاعت على الإنسان مصالحه، وانفرط عليه أمره.

وكُلُّها تتعَلَّق بالقلب، وبهذا يُعلم مكانة القلب ومنزلته، وأنَّه هو المُحَرِّك للِّسان والبدن، وأنَّه إذا طاب طاب اللِّسان وطابت الأعضاء، وإذا خاب خاب اللِّسان وخابت الأعضاء، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(٢).

وأوَّل هذه الأمور الأربعة: النِّيَّة الصَّحيحة. والنِّيَّة بين العبد وبين الله، وفي الحديث قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا**

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) رواه البخاريُّ (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

نَوَى»[(١)]. فالنِّيَّة: هي أساس الدِّين وقاعدته الَّتِي عليها يبنى؛ ولهذا من أهمِّ وأولى ما ينبغي أن يعتني به المسلم، في سيره إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في صلاته، وصيامه، وحجِّه، وجميع طاعاته؛ إصلاحُ النِّيَّة. والأعمال ليست معتبرة إلَّا إذا قامت على النِّيَّة الصَّالحة، بأن يقصد العبد بعمله وجه الله وطلب مرضاته، لا غرض له في أعماله وقرباته وطاعاته، إلَّا نيل رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يريد ثواب الله وأجره، ورحمته وفضله، والنَّجاة من عقابه وسخطه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩]، فلا يشكر جَلَّ وَعَلَا عمل العامل ولا يرضاه، إلَّا إذا قام على نِيَّة صحيحة.

والأمر الثَّاني: «**قوَّة عالية**» أي: قوَّة في القلب بأن يكون القلب -مع هذه النِّيَّة الصَّالحة- قويًّا في الإقبال على الطَّاعات؛ ليس فاترًا ولا متوانيًا ولا متراخيًا، وهذه القوَّة العالية في القلب هي الَّتِي ترقِّيه في دروب الكمال والفضائل.

فالمقصود: قوَّة القلب، وليس قوَّة البدن!! لأنَّ قوَّة القلب هي الَّتِي تحمل العبد على حسن الطَّاعة؛ ألست ترى بعض كبار السِّنِّ، يعاني من ضعف في القُوَّة والبدن ولين العظام وارتخاء الأعصاب، ورُبَّمَا يحسُّ بآلام

---

(١) رواه البخاريُّ (١)، ومسلم (١٩٠٧).

وأوجاع، ثمَّ إذا نودي للصَّلاة تحامل على نفسه، ونهض بجسمه الضَّعيف وعظامه الواهية؛ لا يستطيع النُّهوض إلَّا بمشقَّة عظيمة، ثمَّ يتوضَّأ ويذهب مُتَّكأ على عصاه ويخطو خطوات ثقيلة إلى أن يصل المسجد بجهدٍ جهيد، ثمَّ يقف في الصَّفِّ وتقرُّ عينه بهذا الوقوف فيه، فما الَّذِي حمله على القيام لهذه الصَّلاة إلَّا قوَّةُ قلبه، بخلاف بعض الأقوياء بدنيًّا ينادَون للصَّلاة ولا يستجيبون -مع علمهم بمكانة الصَّلاة وفضلها وثوابها وعظم آثارها-؛ لضعف قوَّتهم القلبيَّة.

روى البيهقي في شعب الإيمان عن شميط بن عجلان رحمه الله قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ قُوَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي قَلْبِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا فِي أَعْضَائِهِ، أَلَا تَرَوْنَ الشَّيْخَ يَكُونُ ضَعِيفًا يَصُومُ الْهَوَاجِرَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَالشَّبَابُ يَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ».

نعم قد يتعجب المرء وهو يرى بعض كبار السن بأبدانهم الضعيفة يتحامل الواحد منهم على نفسه متكأً على عصاة يجر قدميه لا يتخلف عن الصلوات الخمس في بيوت الله، لكن يزول عنه هذا العجب إذا علم أن هذا عائد إلى ما آتاهم الله من قوة إيمان في قلوبهم، بخلاف ضعيفي الإيمان لا يتمكن الواحد منهم من النهوض إلى الصلاة ولو كان من أقوى الناس بدنـًا وأصحهم جسمـًا.

والأمر الثَّالث والرَّابع: الرَّغبة والرَّهبة، وهاتان الخصلتان -وهما من صفات القلوب- من أعظم المُحَرِّكات، الَّتِي تُحَرِّك العبد للإقبال على الفضائل، والتَّخلِّي عَنِ القبائح والرَّذائل، وكُلَّما قويت في القلب الرَّغبة والرَّهبة؛ قوي إقباله على الفضائل واجتنابه للرَّذائل.

فإذا عظم رجاء العبد فيما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حرَّكه هذا الرَّجاء العظيم إلى أن يقبل على الطَّاعات، وأن يستكثر مِنَ الحسنات، والأعمال المُقَرِّبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ راجيًا بتلك الأعمال ثواب الله.

وإذا قوي في قلبه الخوف مِنَ الله، ومِنْ عقابه، ومن ناره، ومن سخطه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حجزه عَنِ الرَّذائل، ومنعه عَنِ المُحَرَّمات خشيةً مِنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالرَّجاء قائد يقود العبد إلى الفضائل؛ الصَّلاة، وعموم الطَّاعات، وأنواع القربات. والخوف سائق وزاجر، فإذا حَدَّثت المرءَ نفسُه بارتكاب معصية؛ جاء هذا الزَّاجر وردعه ومنعه وحال بينه وبين المعصية: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧].

أسأل الله جلَّ في علاه أن يحفظ قلوبنا أجمعين، وأن يحبِّب إلينا الإيمان، وأن يزيِّنه في قلوبنا، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يجعلنا أجمعين

مِنَ الرَّاشدين، مَنًّا منه وفضلًا.